

الفصل الثاني : منهج الإمام القرطبي في الترجيح

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : صيغ الترجيح وأساليبه ويشمل الآتي :
أولاً : التنصيص على القول الراجح .
ثانياً : التفسير بقول مع النص على ضعف غيره .
ثالثاً : التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمرير.

المبحث الثاني : وجوه الترجيح ويشمل الآتي :
أولاً : الترجيح بالنظائر القرآنية .
ثانياً : الترجيح بظاهر القرآن .
ثالثاً : الترجيح بالقراءات .
رابعاً : الترجيح بالحديث النبوي .
خامساً : الترجيح بأسباب النزول .
سادساً : الترجيح بدلالة الأصل المعتبر أولاً في كلام العرب .
سابعاً : الترجيح بدلالة تصريف الكلمة واشتقاقاتها .
ثامناً : الترجيح باللغة والشعر .



المبحث الأول

صيغ الترجيح وأساليبه ويشمل الآتي

أولاً : التنصيص على القول الراجح .

ثانياً : التفسير بقول مع النص على ضعف غيره .

ثالثاً : التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر

الأقوال الأخرى بصيغة التمرير.

صيغ الترجيح وأساليبه عند الإمام القرطبي

أولاً : التنصيص على القول الراجح :

للترجيح عند العلماء صيغ معروفة مشهورة استخدموها في كتبهم حال ترجيحهم في المسائل المختلفة التي تعددت فيها آراء العلماء والفقهاء والأصوليين. وقد استخدم الإمام القرطبي في ترجيحاته أساليب وصيغ منها: التنصيص على القول الراجح .

قوله : (وهو الصحيح) وهي أكثر الصيغ التي استعملها الإمام القرطبي في ترجيحاته

يقول رحمه الله في مسألة قراءة السورة في الركعتين :

قلت : ((والصحيح جواز ذلك . وقد قرأ النبي - ﷺ بالأعراف في المغرب فرقها في ركعتين)) (١) .

وكذلك في مسألة الإكراه يقول : ((فالصحيح أن له أن يتصلب ولا يجب إلى التلفظ بكلمة الكفر)) (٢) .

ومن الصيغ التي استعملها في ترجيحاته : (قوله والأول أرجح) وهذه الصيغة لم يذكرها فيما وقفت عليه في ترجيحاته في سورة آل عمران إلا مرة واحدة في مسألة (كدأب) . يقول (الدأب) العادة والشأن . وقيل تقريره (صنيع الكفار كصنيع آل فرعون مع موسى) .

وزعم الفراء أن المعنى (كفرت العرب ككفر آل فرعون) يقول : ((والقول الأول أرجح، واختاره غير واحد من العلماء)) (٣)

ومن الصيغ في ترجيحاته قوله : وهو الأظهر لأنه عام . وهي الصيغة لم يذكرها فيما وقفت عليه في ترجيحاته إلا مرة واحدة في مسألة : (أولوا العلم) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ، ج(١) ، ص(٦٤٠)

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، ج(١) ، ص(٦٦٥)

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ج(١) ، ص(٦٤٩) .



ثالثاً : التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقال الأخرى بصيغة التمريض :

وهذه الصيغة ذكرها عن تفسير قوله تعالى : {
 ﴿١٤﴾ قال الحسن : (إعمار فيه نار)
 ربح فيها برد شديد . قال الزجاج : (الإعمار في اللغة : الريح الشديدة التي تهب من الأرض إلى السماء كالعمود، وهي التي يقال لها : الزوبعة .
 وقيل الإعمار : ربح تثير سحابا ذا رعد وبرق . قال المهروي : قيل لها إعمار لأنها تلتف كالثوب إذا عصر . قال ابن عطية : وهذا ضعيف .
 يقول : قلت : بل هو صحيح، لأنه المشاهد المحسوس، فإنه يصعد عمودا ملتفا (١٥) .

وفي قوله تعالى : {
 ﴿١٦﴾ {
 الآية . قيل: إن هذه الآية نزلت قبل موت النبي p- بتسع ليال ثم لم ينزل بعدها شيء، قاله ابن جريج . وقال ابن جببر ومقاتل : بسبع ليال وروي بثلاث ليال . وروي أنها نزلت قبل موته بثلاث ساعات وأنه عليه السلام قال : ((اجعلوها بين آية الربا وآية الدين)) وحكى مكي أن النبي p قال : ((جاءني جبريل فقال : اجعلها على رأس مائتين وثمانين آية)) . قلت : وحكى عن أبي كعب وابن عباس وقتادة أن آخر ما نزل : {

﴿١٦﴾ سورة البقرة ، الآية (٢٨١)

(١٤) سورة البقرة ، الآية (٢٦٦)

(١٥) الجامع لأحكام القرآن، ج(١)، ص(٥٨٤) .

(١٦) سورة البقرة ، الآية (٢٨١)



ثالثاً : الترجيح بالقراءات :

القراءات : جمع قراءة، مصدر قرأ في اللغة .

ولكنها في الاصطلاح العلمي : مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من أئمة القراء مذهباً يخالف غيره .

وهي ثابتة بأسانيدھا إلى رسول الله ﷺ ، ويرجع عهد القراء الذين أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى عهد الصحابة، فقد اشتهر بالإقراء منهم : أبي، وعلي، زيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وغيرهم، وعنهم أخذ كثير من الصحابة والتابعين في الأمصار، وكلهم يسند إلى رسول الله صلى الله وآله وصحبه وسلم (٢٧) . يقول الإمام أبو عمرو الداني : (وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفضى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردھا قياس عربية ولا فشو لغة، وأن القراءة سنة متعبة، يلزم قبولها والمصير إليها) (٢٨) .

يقول الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْبَابَكُمْ فَإِن تَوَلَّوْا فَمَا لَكُمْ بِاللَّهِ وَمَا إِلَهُكُمْ إِلاَّ اللَّهُ الْغَنِيُّ الَّذِي يَرِىُّ السُّجُودَ ﴾

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْبَابَكُمْ فَإِن تَوَلَّوْا فَمَا لَكُمْ بِاللَّهِ وَمَا إِلَهُكُمْ إِلاَّ اللَّهُ الْغَنِيُّ الَّذِي يَرِىُّ السُّجُودَ ﴾

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْبَابَكُمْ فَإِن تَوَلَّوْا فَمَا لَكُمْ بِاللَّهِ وَمَا إِلَهُكُمْ إِلاَّ اللَّهُ الْغَنِيُّ الَّذِي يَرِىُّ السُّجُودَ ﴾

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْبَابَكُمْ فَإِن تَوَلَّوْا فَمَا لَكُمْ بِاللَّهِ وَمَا إِلَهُكُمْ إِلاَّ اللَّهُ الْغَنِيُّ الَّذِي يَرِىُّ السُّجُودَ ﴾ (٢٩) الآية قرأ

الجمهور { ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْبَابَكُمْ فَإِن تَوَلَّوْا فَمَا لَكُمْ بِاللَّهِ وَمَا إِلَهُكُمْ إِلاَّ اللَّهُ الْغَنِيُّ الَّذِي يَرِىُّ السُّجُودَ ﴾ } بالتشديد على المبالغة ، وقرأ ابن

محسين ((يذبحون)) بالتخفيف والأول أرجح إذ الذبح متكرر. وكان

فرعون على ما روي قد رأى في منامه ناراً خرجت من بيت المقدس فأحرقت

(٢٧) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، ص(١٧٠-١٧١)، مؤسسة الرسالة

(٢٨) المرجع السابق ، ص(١٧٧) .

(٢٩) سورة البقرة ، الآية (٤٩) .



بيوت مصر ، فأولت له رؤياه أن مولوداً من بني إسرائيل ينشأ فيكون خراب ملكه على يديه، وقيل غير هذا، والمعنى متقارب (٣٠) .

قوله تعالى : (فنادته الملائكة وهو قائم...) الآية (٣١) قال السدي : " ناداه جبريل عليه الصلاة والسلام وحده . وكذا في قراءة ابن مسعود -ج- (٣٢)، وفي التنزيل قوله تعالى : (ينزل الملائكة بالروح من أمره) وفي التنزيل قوله تعالى : (ينزل الملائكة بالروح من أمره) (٣٣) يعني جبريل - عليه الصلاة والسلام- . وجائز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع . وجاء في التنزيل : (الذين قال لهم الناس) (٣٤) المراد به : نعيم بن مسعود . وقيل : ناداه جميع الملائكة وهو الأظهر . إذ جاء النداء من قبلهم (٣٥) .

(٣٠) الجامع لأحكام القرآن (١/١٩٠) .

(٣١) سورة آل عمران، الآية (٣٩) .

(٣٢) قراءة ابن مسعود في كتاب المحتسب

(٣٣) سورة النحل، الآية (٢) .

(٣٤) سورة آل عمران، الآية (١٧٣)

(٣٥) الجامع لأحكام القرآن، ج(١) ص(٦٧٢)



﴿ ٥٣ ﴾ إلى قوله:
 من الكتاب قد استأثر الله بعلمه فلا يعلم تأويله أحد غيره، ثم أثنى الله Y على
 الراسخين في العلم بأنهم يقولون آمنا به . ولولا صحة الإيمان منهم لم يستحقوا
 الثناء عليه .

ومذهب أكثر العلماء أن الوقف التام في هذه الآية إنما هو عند قوله تعالى

:
 { وأن ما بعده استئناف كلام آخر، وهو قوله :
 }
 . {

وإنما روي عن مجاهد أنه نسق { }
 على ما قبله وزعم أنهم يعلمونه، واحتج له بعض أهل اللغة فقال : معناه
 والراسخون في العلم يعلمونه قائلين آمنا، وزعم أن موضع
 { } نصب على الحال وعامة أهل اللغة ينكرونه
 ويستبعدونه، لأن العرب لا تضم الفاعل والمفعول معاً، ولا تذكر حالاً إلا مع
 ظهور الفعل، فإذا لم يظهر فعل فلا يكون حال، ولو جاز ذلك لجاز أن يقال :
 عبدالله راكبا، بمعنى أقبل عبدالله راكباً، وإنما يجوز ذلك مع ذكر الفعل كقوله :
 عبدالله يتكلم يصلح بين الناس، فكان (يصلح) حالاً له، كقول الشاعر أنشدني
 أبو عمر قال أنشدنا أبو العباس ثعلب :

أرسلت فيها قطما لكالكا يقصر يمشي ويطول باركا



أي يقصر ماشياً ، فكان عامة قول النحويين أولى من قول مجاهد وحده، ولا يجوز أن ينفي الله شيئاً عن الخلق ويثبته لنفسه ثم يكون له في ذلك شريك. ولو كانت الواو في قوله : { → ⑤ ④ ③ ② ① } للنسق لم يكن لقوله { ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ } فائدة . والله أعلم (٥٤) .



الغائط كناية عن الأحداث الخارجة من المخرجين فهو عام، غير أن جل علمائنا خصصوا ذلك بالأحداث المعتادة الخارجة على الوجه المعتاد، فلو خرج غير المعتاد كالحصى والدود، أو خرج المعتاد على وجه السلس والموض لم يكن شيء من ذلك ناقضاً وإنما صاروا إلى اللفظ، لأن اللفظ مهما تقرر لمدلوله عرف غالب في الاستعمال، سبق ذلك الغالب فهم السامع حالة الإطلاق، وصار غيره مما وضع له اللفظ بعيداً عن الذهن، فصار غير مدلول له، وصار الحال فيه كالحال في الدابة، فإنها إذا أطلقت سبق منها الذهن إلى نوات الأربع، ولم تخطر النملة ببال السامع فصارت غير مرادة ولا مدلولة لذلك اللفظ ظاهراً، والمخالف يقول: لا يلزم من سبقية الغالب أن يكون النادر غير مراد، فإن تناول اللفظ لهما واحداً وضعاً، وذلك يدل على شعور المتكلم بهما قصداً، والأول أصح (٥٩).



ثامناً : الترجيح بدلالة تصريف الكلمة واشتقاقها .

ذكر هذا عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَآدَمُ ن يَكْنَىٰ أَبَا الْبَشَرِ . وَأَصْلُهُ بِهَمْزَتَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ أَفْعَلٌ إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْنَوْنَ الثَّانِيَةَ ، فَإِذَا احْتَجَّتْ إِلَىٰ تَحْرِيكِهَا جَعَلْتُهَا وَاوَاءً فَقُلْتُ : أَوَادِمٌ فِي الْجَمْعِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي الْبَاءِ مَعْرُوفٌ ، فَجَعَلْتُ الْغَالِبَ عَلَيْهَا الْوَاوَ عَنِ الْاِخْفَشِ ٢ .

وَآدَمُ ن يَكْنَىٰ أَبَا الْبَشَرِ . وَأَصْلُهُ بِهَمْزَتَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ أَفْعَلٌ إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْنَوْنَ الثَّانِيَةَ ، فَإِذَا احْتَجَّتْ إِلَىٰ تَحْرِيكِهَا جَعَلْتُهَا وَاوَاءً فَقُلْتُ : أَوَادِمٌ فِي الْجَمْعِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي الْبَاءِ مَعْرُوفٌ ، فَجَعَلْتُ الْغَالِبَ عَلَيْهَا الْوَاوَ عَنِ الْاِخْفَشِ ٢ .

وَآدَمُ ن يَكْنَىٰ أَبَا الْبَشَرِ . وَأَصْلُهُ بِهَمْزَتَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ أَفْعَلٌ إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْنَوْنَ الثَّانِيَةَ ، فَإِذَا احْتَجَّتْ إِلَىٰ تَحْرِيكِهَا جَعَلْتُهَا وَاوَاءً فَقُلْتُ : أَوَادِمٌ فِي الْجَمْعِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي الْبَاءِ مَعْرُوفٌ ، فَجَعَلْتُ الْغَالِبَ عَلَيْهَا الْوَاوَ عَنِ الْاِخْفَشِ ٢ .

وَآدَمُ ن يَكْنَىٰ أَبَا الْبَشَرِ . وَأَصْلُهُ بِهَمْزَتَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ أَفْعَلٌ إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْنَوْنَ الثَّانِيَةَ ، فَإِذَا احْتَجَّتْ إِلَىٰ تَحْرِيكِهَا جَعَلْتُهَا وَاوَاءً فَقُلْتُ : أَوَادِمٌ فِي الْجَمْعِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي الْبَاءِ مَعْرُوفٌ ، فَجَعَلْتُ الْغَالِبَ عَلَيْهَا الْوَاوَ عَنِ الْاِخْفَشِ ٢ .

وَآدَمُ ن يَكْنَىٰ أَبَا الْبَشَرِ . وَأَصْلُهُ بِهَمْزَتَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ أَفْعَلٌ إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْنَوْنَ الثَّانِيَةَ ، فَإِذَا احْتَجَّتْ إِلَىٰ تَحْرِيكِهَا جَعَلْتُهَا وَاوَاءً فَقُلْتُ : أَوَادِمٌ فِي الْجَمْعِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي الْبَاءِ مَعْرُوفٌ ، فَجَعَلْتُ الْغَالِبَ عَلَيْهَا الْوَاوَ عَنِ الْاِخْفَشِ ٢ .

وَآدَمُ ن يَكْنَىٰ أَبَا الْبَشَرِ . وَأَصْلُهُ بِهَمْزَتَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ أَفْعَلٌ إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْنَوْنَ الثَّانِيَةَ ، فَإِذَا احْتَجَّتْ إِلَىٰ تَحْرِيكِهَا جَعَلْتُهَا وَاوَاءً فَقُلْتُ : أَوَادِمٌ فِي الْجَمْعِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي الْبَاءِ مَعْرُوفٌ ، فَجَعَلْتُ الْغَالِبَ عَلَيْهَا الْوَاوَ عَنِ الْاِخْفَشِ ٢ .

وَآدَمُ ن يَكْنَىٰ أَبَا الْبَشَرِ . وَأَصْلُهُ بِهَمْزَتَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ أَفْعَلٌ إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْنَوْنَ الثَّانِيَةَ ، فَإِذَا احْتَجَّتْ إِلَىٰ تَحْرِيكِهَا جَعَلْتُهَا وَاوَاءً فَقُلْتُ : أَوَادِمٌ فِي الْجَمْعِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي الْبَاءِ مَعْرُوفٌ ، فَجَعَلْتُ الْغَالِبَ عَلَيْهَا الْوَاوَ عَنِ الْاِخْفَشِ ٢ .

وَعَلَىٰ أَنَّهُ مَشْتَقٌّ مِنَ الْأَدْمَةِ جَمْعُ آدَمُونَ ، وَيَلْزِمُ قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةَ صَرْفَهُ .

يَقُولُ : ((قُلْتُ : الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَشْتَقٌّ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ : إِنَّمَا سُمِّيَ آدَمُ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ . وَإِنَّمَا

سُمِّيَ إِنْسَانًا لِأَنَّهُ نَسِيٌّ ، ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ ((٣) .

(١) سورة البقرة ، الآية (٣٠) .

(٢) الأخفش : أبو الحسن سعيد بن مسعدة الماشعي البلخي عالم بالنحو واللغة والأدب سكن البصرة وأخذ العربية عن

سيبويه .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/١٣٩) .